

ISSN: 1597-8893

مجلة أنيغا للدراستات العربية والإسلامية

إصدار قسم الدراسات
العربية والإسلامية

بجامعة ولاية كوفي

Vol. 4, No. 1 - 2009/1430AH

المجلد الرابع، العدد الأول، ٢٠٠٩/١٤٣٠ هـ

الشعر الشعبي العربي في نيجيريا

بقلم لطيف أونيرتي إبراهيم

مقدمة:

الشعر الشعبي هو الشعر القائم على أساس فخر الشاعر بجنسه والخط من قدر الجنس الآخر. فهو أوسع من النقائض التي تعكس جانبا قريبا من الجوانب الاجتماعية، فهذا اللون من الشعر من الأغ. اض الجديدة التي ظهرت في العصر الأموي إثر إيقاد نار الفتن، من قبل خلفاء بني أمية، بين قبائل العرب المختلفة من جهة، ومن واد آخر، بين العرب والأجناس البشرية الأخرى التي تكونت منها الدولة الإسلامية الأموية عصرئذ، بغية صرف أنظار الناس عن أمور الخلافة، التي صيروها وراثية بينهم بحكم ولاية العهد.

فنيجيريا بلاد تضم أكثر من مائتي قبيلة في مختلف شعوب، وأكبر القبائل الثلاث وهي: هوسا ويوربا وإييو. وكل شعب يرى لنفسه السيادة والفضل والشرف على غيره في الميادين الاجتماعية والسياسية والدينية، فكانت هذه الأوضاع أرضا خصبة لنمو الشعر الشعبي. وقد سجلوا ذلك في بعض كلماتهم وأغانيتهم الشعبية بلغاتهم ولهجاتهم المتنوعة. ولما تعلم بعضهم العربية كانت الشعبية من العواطف التي تثير شعور شعرائهم وخواليهم. فهذا البحث القصير يحاول النظر في هذا اللون من الشعر العربي في ديار نيجيريا بغية معرفة أحواله من حيث النشئ والتطور أو التدهور، وأنواعه ومميزاته وأسلوبه ليكون القارئ على بصيرة من أمره في هذه المنطقة؛ ويكون البحث جزء من سلسلة دراستنا لأغراض الشعر العربي في نيجيريا. لقد سبق لهذا الباحث دراسة للشعر السياسي العربي في نيجيريا في بحث آخر.^١

الشعر الشعوي عند العرب

لمع هذا اللون من الشعر - أول وهلة - في العصر الجاهلي حين تتضمن الشعوب مجاورة للعرب العداء لهم والإحساس بالتمييز عليهم^٢. ولما جاء الإسلام قضى على الأنانية والعصبية فضلاً عن الجنسية. وكان الفخر في عهد الرسول والراشدين بالإسلام لا بالنسب أو القبيلة أو الجنس، ولذلك ترى نهار بن توسعة يقول: إذا افتخروا بقيس أو تميم^٣ كما قال تميم بن أبي مقبل:

فنحن بنو الإسلام والله واحد ** وأولى عباد الله بالله من شكر

وهذا هو الوضع قبل تولية معاوية بن أبي سفيان الخلافة الإسلامية ومحاولته هو والذين جاءوا من بعده من الخلفاء الأمويين، ماعدا عمر بن عبد العزيز، صرف أنظار الناس عن أمور الخلافة الإسلامية التي صيروها وراثية فيما بينهم. ومن نتيجة ذلك كان العرب يرون الموالي رؤية دونية ويتعالون عليهم بغير حق. دفعت الظاهرة الموالي إلى تعلم اللغة العربية وإجادتها وإتقانها والتكلم بها والتغني بها شعراً. فنشب بينهما الصراع الشعري، خصوصاً الفرس منهم، الذين لا ينسون أن لهم مجداً قضى عليه العرب وأنهم أصحاب ملك وعز وحضارة. فكان شعر شعوب العرب شعر كراهية للموالي وشعر شعوب الموالي شعر انتقام من العرب.

كان الأمويون يخفضون صوت الموالي بكل قوتهم وبسالتهم، ولذلك قلَّ شعر الموالي الشعوي في العصر. ولكن نال الرواج عند العباسيين لأن العباسيين استعانوا بالموالي في إقامة دولتهم، ولعرفان الجميل لهم عينوهم في مناصب شرفية عالية، في الوزارة وقيادة الحروب والدواوين. فأتاحت بذلك للموالي فرصة الجهر بالصوت فكثُر شعرهم الشعوي

عصرئذ، ولا سيما العصر التركي عندما كانت الخلافة الإسلامية في حوزة غير العرب. وقد امتدت هذه العصبية العرقية إلى العصر الحديث لئرى عبّاس محمود العقاد أحد نوابغ الأدب العربي في عصره ينسب إليه هذا الشعر في الاستهانة بالجنس السود قائلا:
رأيت آدم في نومي فقلت له ** أبا البرية إن الناس قد حكموا
أن البرابرة نسل منك أصلحة ** حواوي طالقة إن صَحَّ ما زعموا^١
فيرى العقاد أن البرابرة (اسم يطلقه العرب على الجنس الأسود) في الصحاري دون العرب شرفاً ولذلك يزعم أنهم غير إنسان من نسل آدم.

الشعر الشعبي في نيجيريا:

تتكون نيجيريا - كما ذكرنا سابقا - من مختلف قبائل وشعوب تنيف عن مائتي قبيلة، ولكل منها لغتها وتقاليدها وعاداتها الموروثة كايبرا عن كايبرا. وكل قبيلة وشعب تعمل على شاكلتها في حدود إقليمها ولا تجمعهم علاقة متينة سوى التجارة والدين، وذلك قبل مجيء المستعمرين الذين وحدوا صفوفهم وجمعوا شملهم ليصبحوا أمة واحدة باسم "نيجيريا" عام ١٩١٤م. وكانت كل قبيلة حينئذ - كما قال الشيخ الإلورى:
تتخذ لنفسها رسوما وأشكالا هندسية على الحدود والأصداغ
لكي تمتاز كل قبيلة عن غيرها، ويعمل من ينتمي إلى القبيلة في إنقاذ
من وقع في الأسر أو من يباع عبدا في أي مكان. ولهذا كان بعض
القبائل يرى كل قبيلة أخرى عبدا لها وكان الهوسا السبع يسمون
أنفسهم أحرارا وغيرهم من الهوسا عبدا "هوسا بَنَسَا" أي سدى.
وكان الهوساويون يستهينون باليوربا ويطلقون عليهم "بَي رَي بَي"
تحقيرا وكان اليرباويون يسمون غيرهم "عَفَنُو" بمعنى عبيد برنو. وكان

اليرباويون لا يعرفون من قبائل (هوسا) غير قبيلة (غوبر) التي عرفها
اليرباويون كعبيد يباعون في شواطئ المحيط، لذلك أطلقوا على الهوسا
جميعاً كلمة "عُتْبَرِي" ... لا، تستطيع هذه القبائل أن تعيش جنباً إلى
جنب أحراراً في وئام وسلام إلا بحكم ضرورة التحالف التجاري في
بعض فترات السلم.^٦
وعلاوة على ذلك كانت كلمة "يَنْمَرِي" اسم تحقير أطلقه أهل هوسا على إيبو،
وإيرا يطلقون على غيرهم "أنيكنامي" كلها يعني عبيد.
وحتى بعد اندماج هذه القبائل والشعوب المتباينة الحضارات والأديان بعد
الاستعمار الإنجليزي، لا تزال روح العداوة باقية بينهم، ولا تزال النزعة القبلية قوية إلى
يومنا هذا؛ يتنافسون على الرئاسة، ويرى كل شعب من الشعوب الرئيسية نفسه أحق
برئاسة الحكومة الفدرالية من غيره. وكان التنافس بين هذه القبائل شديداً، فالهوسا يقولون
إن القوة الاقتصادية بيد يوربا، فيريدون مقابل ذلك السلطة السياسية، واليوربا يرون أن
شعب إيبو هم الآخذون بنصيب الأسد من الاقتصاد، والحكومة الفدرالية في البلاد تنفق
أموالاً طائلة لترع هذه العصبية من نفوس الشعب، وغرس روح القومية مكانها.
فهذه البيئة كما صورناها جو مناسب لتطور الشعر الشعوبي وغيره من أشعار
الفخر والهجاء والتحريض. ونلاحظ أن كل قبيلة بما لديها فرحون؛ ترى غيرها رؤية دونية
وتحتقرها بالأمثال والأغاني الشعبية. ولما تعلموا العربية وأتقنوها إلى حد التمكن من نظم
الشعر بما أخذوا يعبرون عن شعورهم القبلية والشعوبية باللغة العربية. لقد بدأ ذلك من
عصر الجهاد الفودي حيث نرى بعض شعوب يشنون على شعوب آخرين، ويذمونه بما

فيهم من الأخلاق الرذيلة على غرار ما قاله الأستاذ الطاهر بن إبراهيم الفلاحي عن الشعب الكنوري في قصيدة له نصها:

إن كانوريسن كانوا** أهل قهر واعتلاء

فالأراجيف لـديهم** كأراجيز الثناء

والأساطير إليهم** ذو أساطين البناء

والأكاذيب إليهم** من أكاذيب الحناء

والأساطير أراجيز** بساتين الغناء

يا بني كانور هذا** من فنون الازدراء^١

فهذه الأبيات بغير شك هجاء وازدراء من الشعب الفلاحي للشعب الكنوري. وهناك وصف المعركة والانتصارات في الحرب الذي نشم فيه رائحة الشعوبية التي تضاهي الوصف من الشعر الشعبي عند العرب، وذلك كفيل في شعر الجهاد في العصر الفودي. وخير مثال لذلك شعر عبد الله بن فودي حين يصف وقعة كنو، نذكر منها ما يلي:

بدأت بيسم الله والشكر يستبـع** على قمع كفار علينا تجمـعوا

ليستأصلوا الإسلام والمسلمين من** بلادهم والله في الفضل أوسـع

توارك مع غوير وتيف سفيهمهم** مخزيهم والله يراى ويسمـع

فلما أتو غتغغ ما فيه أفسدوا** بحرق وتخريب وأشياء تقطـع

وجاسوا غياظا في نجوى فقتلوا** جموعا من الأعراب والمال يجمـع

فزادهم كفرا وزادوا تكبرا** عليهم جلال والقوانس ترفـع

ولبس شفوف يزدهيهم وخيلهم** لها خيلاء والزوابل شرع

إلى أن قال:
قبائل إسلام فتورب قبيلنا ** فلاتينا حوسينا الكل مجمع
وفينا سواهم من قبائل جمعت ** على نصر دين الله كان التجمع
بنو تور أخوال الفلاتين أخوة ** لعرب فمن روح ابن عيص تفرعوا
وعقبة جد للفلاتين من عرب ** ومن تورب كانت أمهم هي يجمع^أ
فالقارئ لهذه الأبيات يعين بصورة يرى أن الغزوة وقعت بين شعب غوبر وشعوب
تفرعت عن العرب وهي شعب الفلاتي وشعب هوسا وشعب بنو تور، فإبادة قبائل أخرى
من الذين تكون منهم جيش المسلمين هي سب الحرب بين الشعبين المذكورين، شعب
غوبر يتعالى على شعب العرب كما بان في البيت الخامس، فانتقم العرب منهم فتغلبوا
عليهم بإذن الله. فهذا اللون من الشعر إذن وما شابهه من شعر الجهاد جدير بأن يحسب من
الشعر الشعوبي في هذه الديار.

وكذلك عثرنا في أواخر العصر، قبيل العصر الإنغليزي على قصيدة للشيخ محمد
التاكي بن أبي بكر النفاوي المتوفى ١٩٠٠م يفخر فيها بشعبه النفاوي إجابة لإسحاق أحد
العلماء الذين يقدحون في النفاويين، بقوله:

إن النفاويين قوم لا نظير لهم ** عند الفصاحة في الأقوال والكرم
لأنهم عرب في أرض مغربنا ** فلا نظير لهم في سائر العجم
فإنهم أمناء القوم في عمل ** إن النجاسة فيهم غير منعدم
يا ويح شخص أتى في الفضل يحسدكم ** إن المحاسد لا يأتي على اللثم

نلاحظ في هذه الأبيات أن التركة الشعوبية هي التي حملت الشيخ التاكي إلى
الافتخار بقومه النفاوي حين ازدرى واحد من شعب آخر بفضلهم حسدا منه، مما دفع

الشيخ إلى ذكر تفرع شعبه من العرب ذوي الفصاحة والكرم والأمانة والنجابة الذين لا يساويهم في هذه الأوصاف أي عجم. وهذا يمثل نوع الشعر الشعوبي الذي يفتخر الشاعر بشعبه من غير تصريح بالخط من قدر غيرهم.

ومن أمثلة الشعر الشعوبي الذي يصرح فيه الشاعر بذكر مناقب شعبه ومعايب غيرهم انتقاما منهم قصيدة الأستاذ يونس عبد الله، قاضي قضاة المحكمة الشرعية الاستئنافية لولاية كوفي سابقا، نظمها ردًا على بعض يوربا من مدينة إلورن الذين يشتمونه ويستهزئون به على انضمام الحاج آدم أتا، حاكم ولاية كوارا سابقا، في انتخابات عام ١٩٨٣م وكلاهما من قبيلة أيرا بولاية كوفي حاليا. ويرون هذه الهزيمة إهانة لشعب أيرا بأجمعهم فأنار ذلك غيظ الشاعر ونظم القصيدة بعنوان: "كل شيء في لماذا" ولضيق نطاق هذا البحث لا نستطيع سرد القصيدة بكاملها، ولكن نذكر أقسامها الخمسة وبعض أبيات من كل قسم.

ففي القسم الأول من القصيدة يفتح الشاعر بالسؤال عن سبب شتم الحاكم آدم أتا مع أنه قد قام بإسهامات لا يستهان بها للولاية والمسلمين، مثل إجازة تعليم العربية المنهي عنه في المدارس الحكومية من قبل، واعتراف الحكومة بشهادات المدارس الإسلامية الأهلية، وبناء مزيد من المدارس، وضيافة شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق الذي زار نيجيريا إكراما للمسلمين، وعلى هذا يقول بعد الصلاة على النبي محمد:

سلامي عليكم، كيف يشتم آدم ** أتانا بفضل الدين في بلد عالم

أتانا بكرم نعمة بعد نعمة ** بمفتاح باب العز دهليز عالم

إلى أن قال:

وقالوا "كنا" في غيظهم بجهالة ** وقاموا بشتم الخير في نصر ظالم

فعرابية منهيّة في المدارس** فطبّقها محبوبية في الجماجم
مراكزنا معروفة بالحكومة** شهادتنا مقبولة فضل حاكم
أما أنشأ التعليم نصرا لديّنا** وأرفع شأن العلم كرم المعلم
بنى بنىة للعلم في كل قرية** مدارسنا موفورة بدراهم
أتسون هذا أم على القلب غفلة** أتسون فضل العلم يا أهل عالم
لقد زار الشيخ الأزهرى بأرضنا** زيارة جاد الحق في بلد عالم
وكبر اسم الله كرما لقومنا** وصلى صلاة العصر في قصر عالم^١
ثم في القسم الثاني: ذكر بعض مثالب شعب يوربا في مدينة إلورن، التي كان أكثر
سكانها مسلمين، من نصرة الكفار على المسلمين لأجل كراهيتهم لشعب إيبيرا وأتباعهم
الأثرياء السياسيين عمياء لنيل عطائهم وعليه يقول:

إلورن أناس يكرمون ضيوفهم** نسجل هذا الكرم في شأن مسلم
ولما تولوا ساس شخص أمامهم** وقبل مجد القوم في نصر مجرم
إلورن بلاد يكرهون صليهم** وأصبح يوما يمحرون بظالم

إلى أن قال:

أخذنا إلورن قبله لعلومنا** ولكنها صارت عبدة درهم
بخمسة نيرا^{١١} ثار قوم بغضبهم** وعموا وصموا ثم صاروا كمغرم
لأجل عوكيني^{١٢} ضاع قوم أمانة** وقد ضيعوا مجدا بنا بالمكارم
بعشرة "نيرا" صار عالم جاهلا** وفخر فلوس لا كفضل المعلم
ففي القسم الثالث: اعترف الشاعر بتلمذ شعبه لعلماء إلورن وأن منهم أساتذته
المحترمين، ولذلك أنقذ شعبه لأهل إلورن عن توعية ولكن مع ذلك لا يرضى بالوقوع في

عرضه وعرض قومه واعتذر لأساتذته حول ذلك وطلب منهم العفو على ذلك ومن ذلك قوله:

ألا فاذكروا عبد السلام بأرضنا ** فأول قاض في إيسر لمسلم
ألا فاذكروا يحيى الذي طاف حولنا ** بعلم وأدب من أرض عالم

إلى أن قال:

شهدت لهم هذا واحترت مرتبا ** لشيخين بالتخصيص يحيى وآدم
أما جاء يحيى من "بكت" ١٣ بعلمكم ** وأنشأ نشر الدين فضل المقدم
فموجة تاج الأدب يحيى إمامنا ** فيحيى الذي أكرمه هو عالمي
ومن بعده جاء الوحيد زمانه ** فآدم عبد الله ذاك معلمي
شهدنا لكم هذا، لماذا نسيتمو ** شكرنا كم خيرا ولسنا بأبكم
ثم شرع في القسم الرابع: وذكر استهانة جهلاء القوم بهم وشتيمهم ومحاولتهم
قتلهم مع اعترافهم بسيادتهم وفضلهم عليهم، فقرعهم على ذلك في قوله:
ولما همت جهلاء قوم بقتلنا ** تجاهلت في شعري وفي كل عالمي
ولسنا عبيدا حيث نقرع بالعصى ** ولكننا الأحرار نكفى بفاهم
شتمتم جميعا حيث يخطأ بعضنا ** ولست كأنتم سوف أشتم شاتي

ثم قال

ومن ينتخب كفرا أليس بفاسق ** ومن ينتصر للكفر ليس بمسلم
وما الغدر إلا ما فعلتم بأرضكم ** وما هو عنها بالحديث المرجم
ظننا بأن الدين غاية غرضكم ** وقتلتم بأن القوم عبدة درهم
ظننا بكم خيرا وجئتم غرابة ** تصور ومن باع الأمانة يندم

ولا عيب في قوم سوى أن وعدهم ** كوعد اليهود كل موثق يندم
 ولا عيب فيهم غير أن عهدهم ** بهن غرور لا تليق لمسلم
 ففي آخر القصيدة قدم الشاعر الاعتذار إلى شيوخه على أنه لا يتعالى عليهم وإنما
 نظم القصيدة دفاعاً عن عرضه وعرض قومه، وطلب منهم العفو والسماحة، ثم دعا علماء
 الخير أن يقوموا بالصلح، ثم صلى وسلم على خير البرية.
 وبغض النظر عن بعض الأخطاء التركيبية والعروضية والقوافية الواردة في هذه
 القصيدة التي أشبهت بما نظمت على الارتجال، نرى شعوية الشاعر يونس عبد الله واضحة
 لائحة. إنه يفخر بقومه ويدافع عن عرضه وعرضهم من إهانة جارهم اليوربا والفلاني من
 الورن لهم، وكثرة تكراره لكلمة "قوم" تصدق على ذلك بالوضوح. ونزعتة الإسلامية
 منعتة من المبالغة في الفخر والنيل من خصمه بغير حق، بل اعترف بالجميل لأهله.
 وللشاعر قصيدة أخرى نظمها على هامش القصيدة السالفة الذكر تشبه تلخيصاً
 لها وهي في ثمانية أبيات بتاريخ ١٥ - صفر - ١٤٠٤ هـ الموافق ١٧ - ١١ - ١٩٨٣ م
 إجابة عن تحداه أنه قلاهم، وهي:

لقد ظن بعض الناس أني هجرهم ** وقلت لهم أنني على ما ظننتم
 وفي ظنكم خطأ كما قال بعضنا ** وبعض ظنون المرء إثم عسّم
 أنا الطالب التلميذ في خدم شيخنا ** لآدم عبد الله هذا عرفتم
 وأكرمت يحيى من بكت كأنني ** حفيد لتاج الأدب هذا فهتموا
 ولما طغى الأشخاص في قتل رهطنا ** خشعت ضياع الأمن فيما فعلوا
 تقولون فيما لا يقال لغيرنا ** تصيحون يا "أكال كلب" سمعتم
 وجئتم بطرد، كيف نأمن عهدكم ** أيطردننا الكفار حتى وأنتم

لي العذر في المجران من شاء يعتبر** ولست هجير القوم فيما ظننتم^{١٣}
أظهر الشاعر في هذه القصيدة بأن سبب هجرانه لهم هو أن بعض يوربا يعير
شعبه بأنهم آكال الكلب ويطردوهم من بينهم مع أنهم مسلمون مثلهم، ومع اعترافهم
بسيادتهم واحترامهم لهم ويبن بأنه هجرهم خوفا من إيقاد نار الفتن في البلاد.
فإذا نظرنا إلى قول الشاعر في البيت السابع من هذه القصيدة حيث يقول:
وجئتم بطرد، كيف نأمن عهدكم** أيطردنا الكفار حتى وأنتم
يفهمنا أن تعاليم الإسلام التي تدعو إلى الأخوة في الله والمساواة بين الناس لم تطهر من
قلوب أهل هذه البلاد درن العصبية القبلية والشعوبية بل يتهمون أنفسهم في الدين
والعقيدة، الأمر الذي جعل شعباً يزكي نفسه ويتهم غيره من المسلمين بالكفر حتى استهزأ
بهم. نفهم ذلك جلياً أيضاً في الشعر الشعبي لما لم زمعة بن إمام مدينة بوشي الذي يشبه
دين مسلمي يوربا بدين النصاري في قوله:
ولا عيب في يوربا سوي أن دينهم** كدين النصاري لا كدين محمد^{١٤}
فهذه الفكرة هي ما وراء رفض مسلمي هوسا أن يصلوا خلف إمام يورباوي ولو كانوا في
بلاد يوربا، وعليه يقول الشيخ الإلوري:

لهذا كانت الجاليات الهوساوية تعتزل الأواسط البرباوية في حي
خاص، يدعي سابنغري، أو زنغو، حيث تحتفظ بتقاليدها،
وتقيم شعائر دينها وراء إمام هوساوي. وفي حالة عدم تمكنهم
من هذا يتركون صلاة الجماعة بتاتا ويصلون أفذاذا، ...
ويشعر مسلم يوربا باستخفاف مسلمي هوسا بإسلامهم،
فيستمرون في أحوالهم، لذلك كله لم يتيسر حتى الآن اتفاق

الفريقين على شيء، بل رضوا بأن يكونوا طرائق قدداً، يعمل
كل على شاكلته وكل حزب بما لديهم فرحون.^{١٦}

ولعل هذا الاستخفاف والاستعلاء من قبل هوسا، مما حمل بعض يوربا على الرد
عليهم، على نحو ما قام به محمد القاسم علي، في قصيدة له يرد بها على البيت السابق لما لم
زمعة:

ألا أيها الأخيار حيوا تحية ** معي يوربا أهل الهدى والكمال
وهم شامخات المجد لم يك ندهم ** أياديهم بيض تجلي العوالي
وهم شجعان الحرب والعلم قصدهم ** ولم يرتضوا بالبدون في كل حال
هم السحب تحيي الأرض من بعد موتها ** هم البحر يعطي بعد يأس اختيال
هم ورثوا الإقدام من جددهم ألا ** وما شذ عنهم ذرة من جلال
هم العرب أصلاً خير خلق إلحنا ** وهم كرباط الخيل ذا في اتصال
وجدهم الأعلى "يعرب" ذو العلا ** وقائد جيش الحق كل مجال
سوابقهم من نسج يعرب في الوغى ** سهامهم في الحرب موت رجال
وأقلامهم الحرب تنقط وجه من ** يحاربهم لم تبق حتى النعال
وهم قولهم قول إذا قيل "لا" فلا ** وإن قيل "نعم" مجدهم في مقال
على دين طه مستقيمون دائماً ** على سنة المختار دام أهالي^{١٧}

كان هذا الشعر يفيض بالقومية اليورباوية، يقر بصحة إسلام يوربا، ويؤكد ذلك
بكون أصلهم من العرب. فمن أمعن النظر في آخر بيت في قصيدة ما لم زمعة وهذه
القصيدة لقاسم يشعر أن التاريخ يعيد إلينا العصر الأموي حين يتعالى العرب على الموالي

وينظرون إليهم نظرة دونية، ويحاول الموالى الانتقام منهم بالافتخار بأجدادهم وآبائهم حتى في حضرة الخلفاء!.

وهناك لون آخر من الشعر الشعوي في نيجيريا يعتني بتهيج شعب وتخريضهم للقيام بإعادة مجدهم المسلوب عنهم أو البحث عن ضالتهم المنشودة. فخير مثال لهذا النوع من الشعر الشعوي قصيدة لعبد الرحمن عبد العزيز الزكوي ذات اثني وستين بيتاً بعنوان: "إلى أبناء يوروبا أجمعين"، قسم أفكار البيت إلى ستة أقسام. في القسم الأول شكى مما آلت إليه حال قومه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من الضعف والذل والتقهر بعد القوة والمجد والنهضة في البلاد، وسرد ذلك بأسلوب خطابي رائع يقدم إلى بني شعبه التساؤلات لا يرجو منهم الإجابة عنها:

نعيش بأرضنا عيشاً أسيراً** إلى كم نشتكى ويحاثوراً
ومن أثمارنا نسقي حميماً** ونطرد من مساكننا جبوراً
نقهقر في السيادة كل يوم** ألم نشعر بأحداث شعوراً
ألسنا قبل حاضرنا رجالاً** فشت أخبرنا فشواً نصيراً
أصبرنا أمة عمياء؟ عفواً** ولم أر بيننا فطناً بصيراً
ألسنا بين أحياء كموتى** تراب الأرض يكفيننا قبوراً
فقبل اليوم كنا خير قوم** وأعلى الثوب نلبسه حريراً
ويومئذ فلغتي من لغات** علت بحماها عزاً دهوراً
على سؤلي أمنكم من يجيب** فإني طالب رجلاً خبيراً
إلى كم نحن في ظمئ وجوع** سكتنا لا كلام ولا ظهيراً
مناصبنا أروني في بلادى** فلا تجدوا وإن تجدوا قشوراً

تشعث جمعنا شتي شديداً ** وكان الإنفراق بنا خطيراً
 أتاناً الدهر يؤمئذ ضحوكاً ** وصار بنا عبوساً قمطيراً
 وما نفع المعيشة في بلادي؟ ** بهذا لا حبور ولا سرورا
 إلى أبناء يوربا أجمعين ** أمنكم من يمين لي أمورا
 ففي بداية هذا القسم من القصيدة نرى الشاعر يشكو آلام أمته يوربا ويحرضهم
 على تحرر أنفسهم من العذاب الشديد والفقر المدقع بأسلوب حكيم. ثم شرع في القسم
 الثاني يصور موقف شعبه بين الشعوب الرئيسية الثلاثة، هوسا ويوربا وإيبو في سياسة
 البلاد حيث يلقي إليهم فضوليات من المناصب كرها، يقول:

ففي نيجيريا أمم ثلاث ** لنعرض ذكرها فوراً جديراً
 وأولها وأكثرها هؤوساً ** ويوربا، إيبو أجبرها ظهيراً
 أبت أولها إلا أن تكون ** رئيساً بالتجبر بل أميراً
 وكانت قوم إيبو بالنيابة ** وكانت يوربا شيئاً حقيراً
 تصبرنا على الأحداث قسراً ** ويتخذون من قومي وزيراً
 بقونا أمة مستعمرين ** علام نعيش يا قوم حؤوراً

فالشاعر في هذه الأبيات يكرر صوت شعبه في أن أمة هوسا يستعمرهم قسراً
 ويعالون عليهم بغير حق وذلك لكون تولية شعب هوسا الرئاسة في نيجيريا عن طريق
 الانقلاب العسكري. نظم الشاعر القصيدة في عهد الجنرال بابنغا وكان أيجومو نائباً له
 وهو من قبيلة إيبو. وفي عجز البيت الأخير من هذا القسم شيء من التحريض في قوله:
 "علام نعيش يا قوم حؤورا إذ يرى الشاعر أن إمكانية هذا الوضع المؤسف نابعة من بني
 جلدته حيث يتحاسدون ويتباغضون فيما بينهم ويتفاضلون على بعضهم بعضاً، ويمقتون

من أتى ليحررهم من قيود العبودية. وأتى بمثال ذلك في حسداهم لعبد الباقي بابتدى
إدأبون (يرى الشاعر تندى إدأبون يورباويا ولكنه فلاقي الأصل يورباوي الاسم، ولعل
استيطان أجداده بلاد يوربا هو الذي حمل الشاعر على أن يحسبه من يوربا) وهو نائب
الجنرال محمد البخاري الهوسوي الفلاقي الذي حكم الدولة بين ١٩٨٣ و ١٩٨٥م، ففي
ذلك يقول في القسم الثالث من القصيدة:

إذا ظهر المحرر بين قومي ** يقوموا ضده حسداً نكيراً
فأول من يقوم عليه قومي ** بزعم لم يكن شخصاً وقوراً
وهذا دأب يوربا من قديم ** لهذا لا ترى فيهم قديراً
كذا فعلوا لعبد الباقي تندى ** وكان لشأننا رجلاً بصيراً
رئيساً بالنيابة في البلاد ** يسمى دائماً أسداً هصوراً
لقائدنا محمدنا بخاري ** رئيس الحق كان به شهيراً
فقومي كثروا في ذم تندى ** بقول ليس مضحكا كثيراً
أضاعوه وأي فتى أضاعوا ** وأتى نلتقي فلذا نظيراً
أقول كقول شاعرنا الرصافي ** ونعم القول دونكم نذيراً
قد انقلب الزمان بنا فأمست ** بغاث القوم تحتقر النسورا

فالتعصب للدين الإسلامي هو الذي حمل الشاعر على إهمال اسم السيد هو أوبافيمي
أوولوو رئيس المعارضين في الجمهوريتين الأولى والثانية في نيجيريا، وفصل الخطاب في
أمر عبد الباقي تندي إدأبين. ولعله فعل ذلك لان الأول لم يشغل منصبا وطنيا عاما بل
كان رئيسا إقليميا قبل الاستقلال، وكان الثاني نائب الرئيس للحكومة الفدرالية الوطنية

بيده سلطة التنفيذ. وعلى كل حال إن استشهاد الشاعر بقول الرصافي آخر هذا القسم يدل على والتحريض الشعبي من قبله.

ففي القسم الرابع من القصيدة، يوجه الشاعر الخطاب إلى قومه مرة أخرى، يوضحهم بما يراه حلاً لمشاكلهم المذكورة. فمما ذكر في ذلك: التعاون والتآخي ونبد الحقد والبغض والمحاسدة التي وصفت بالعدوان فيما بينهم، وكذلك حذرهم من العصبية القبلية وحذهم على تزكية النفس والوفاء بالسلام والانكباب على الجد في وظائفهم، وأشار إلى أن ذلك يعيد مجدهم المفقود فيصبرون أقوياء بعد ضعفهم، وتحل عقد حياتهم، يقول:

بنى قومي أجيبوا إن عندي ** كلاماً فاسمحو لي بله شوري

فهذه الحادثات لها علاج ** وكان دواؤها شيئاً يسيراً

فكونوا بالتعاون والتآخي ** على الإحسان كان لكم نصيراً

بهذا نبدوا حقداً وبغضاً ** ومحسدة كذا طبعاً شريراً

كذلك تعصبا قبلية نبذاً ** ونقوا عن مفاسدكم ضميراً

تكونوا أقوياء إذا فعلتم ** عواقبكم سنحدها سروراً

على الأعمال والإنتاج دوموا ** تصيروا بين عالمنا بدوراً

فكونوا بالوفاء والسلام ** كأسنان المشاط وأن تخيراً

من العقبات تنجو عن قريب ** كفانا الله خالقنا مجيراً

فقد حان القيام إلى الأمام ** لنشرب سائغاً ماءً نضيراً

ستخشاناً الحوادث باتحاد ** ولا نخشى به ربنا دبوراً

يردّ ضياعنا ربّي إلينا ** بهذا ينزل الرزق الغزيراً

ففي القسم الخامس لفت الشاعر أنظار قومه إلى ما اقترحه الشيخ آدم الإلوري في كتابه "الإسلام اليوم وغد في نيجيريا" حلولاً لمشاكل نيجيريا والمسلمين، فمنها نبذ التفزقة، والتشمر عن ساعد الجدل في العلوم والتكنولوجيا ومحاربة الفقر والمرض، سجل ذلك في قوله:

مراراً قال شيخني مثل هذا ** كذلك لا يزال لنا مديراً
مربي آدم الفضل الإلوري ** يقول الحق لن ينشئ مكوراً
كفاك كتابه الإسلام فاقراً ** تجد في يومنا وغد حبيراً
وذلكم أيا أبناء قومي ** إلى ما تجمعون به خيوراً
بأن الخير كل الخير فيكم ** إذا برزتم لغد صدوراً
إذا مارستم عملاً بخير ** وصفو قلما تجدوا الفقير
رسالة شيخنا قوموا إليها ** كفى لأمر دنيا زهوراً^{١٨}

لقد أثرت هذه القصيدة تأثيراً بالغاً في نفوس شعب يوربا حيث جمعوا شملهم ونبذوا جميع التفاضل والتباغض والتحاسد فيما بينهم، ويظهر أثر ذلك بوضوح في انتخاب واحد من بطنتهم رئيساً للبلاد وهو مشهود أبقولا، إلا أن حكومة الجنرال بابنغدا ألغت نتائج الانتخابات، مما أدى إلى ضجة كبيرة والانفلات الأمني في أرجاء البلاد وكاد يؤدي إلى انقسام الدولة. ولما أصر الفائز مشهود أبقولا على تولي السلطة قبض عليه الجنرال ثاني أبتشا وأودعه السجن حيث لقي حتفه، فرثاه الشعراء بمراث حزينة، ومنهم الشاعر عبد الرحمن الزكوي الذي قال فيه:

لقد مات (M.K.O) الحسان ** شهيداً وقد ذا من أمان
فقدنا به خيراً لسان ** ليوربا طراً والجمان

بدليل له أن وثان؟** غبتنا بأنواع الهوان
أرانا خيارى كالجيان ** أأبناء قومي والرهان
علام سكتنا كالجيان؟** لقد آن للحق التفاني
دعوا الخلف أو هذا جفاني ** وذاليس فينا قد عصاني
وقولا: فلان من فلان ** ألا فانبذوا شر الطعان
منينا بمشهود الهجان ** كفي موته حرب العوان
وفي موته شتي المعاني ** يعني من به صفو الجنان^{١٩}
لا يشك أحد في أن روح الانتماء القبلي هي التي أثارت وجدان الشاعر ودفعته
إلى نظم هذا القريض. ومما أضمر الشاعر في قوله "وفي موته شتي المعاني" هو أن قبائل
هوسا لا ترضى بأن يرأسها غيرها من الشعوب الباقية في نيجيريا، يرى الشاعر ذلك تعاليا
من قبل هوسا على الغير، ولذلك يهيج قومه بالقيام للانتقام منهم. فهذه الميزة من مميزات
الشعر الشعبي عند العرب. وللشاعر قصائد أخرى في هذه الزعة لا يسمح المجال ذكرها
في هذا السياق.

الخاتمة:

يظهر من خلال ما سبق أن الشعر الشعبي شعر عصبية وكرهية وانتقام. وقد
يكون فخرا أو هجاء أو تحريضا أو نقائص أو وصفا لمعارك. لمع هذا اللون من الشعر عند
العرب في العصر الجاهلي وأصبح غرضا مستقلا في العصر الأموي واستغلظ واستوى في
العصر العباسي ولا يزال في الأدب العربي إلى اليوم، وكان تخاصما اجتماعيا وسياسيا بين
العرب والأعاجم خصوصا الفرس.

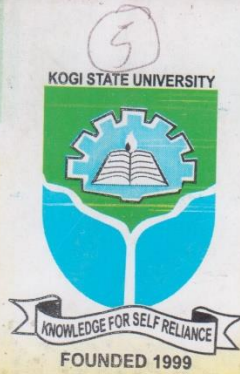
والشعر الشعبي من الأغراض التي طرقها الشعراء النيجيريون، وقد وجدنا منه وصف المعارك، ويمثله شعر عبد الله بن فودي، والهجاء، ويمثله شعر الطاهر بن إبراهيم الفلاحي وذلك في عصر الجهاد، ووجدنا منه الفخر، ويمثله شعر محمد التاكتي النفاوي في العصر الإنغليزي، والهجاء والفخر معا، ويمثلهما شعر يونس عبد الله القاضي الإبراهيمي، والازدراء، في شعر مالم زمعة بن إمام مدينة بوشى وفي رد محمد القاسم علي عليه، كما وجدنا منه التحريض، كما في شعر عبد الرحمن عبد العزيز الزكوى.

قد يكون وجود هذا الغرض الشعري ثراء للأدب العربي في هذه المنطقة إلا أن التزعة الداعية إليه لا توافق روح الإسلام الذي ينتمي إليه أكثر أهل هذه الديار، فها جذا لو صرف شعراؤنا همته إلى غرس روح الوحدة والقومية الإسلامية في نفوس قومهم المسلمين.

الهوامش

- ١- عبد اللطيف أونيريتي إبراهيم: "الشعر السياسي العربي في نيجيريا"، في الحضارة مجلة الدراسات العربية والإسلامية، تصدرها جامعة ولاية ليغوس، أوجو، ليغوس نيجيريا، العدد الخامس، ٢٠٠٢ ص ص ٥١-٦٦.
- ٢- الدكتور أحمد عمارة: "نزعة التعصب بين العرب والموالي في الشعر الأموي" في الشعر مجلة تصدر عن دار مجلة الإذاعة والتلفزيون، العدد ٤٢، القاهرة، إبريل ١٩٨٦م، ص. ٨٢.
- ٣- المرجع نفسه، ص ٨٦
- ٤- المرجع نفسه، ص ٨٦
- ٤- المرجع نفسه، ص ٨٦
- ٥- الدكتور أحمد عمارة، المرجع السابق، ص ٨٢
- ٦- آدم عبد الله اللورى: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ٩٦-٩٧
- ٧- محمد بلو بن فودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، الحاج طن أنمي طابيريرو صكتو ١٩٦٤م ص ٣٢.
- ٨- المرجع نفسه، ص ١٠٢-١٠٣
- ٩- "كتا": كلمة يورباوية تستعمل لإهانة الإنسان، فحرّف إليها آدم "أنا"، وهو اسم الحاكم.
- ١٠- القاضي يونس عبد الله: الإسلام في بلاد إبر، الطبعة الأولى، سبأوتما للطباعة والنشر والتوزيع، إيجبو أدي، نيجيريا، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ص ١١٧
- ١١- اسم العملة النيجيرية

- ١٢- أو كَيْتِي: اسم مدينة في ولاية كوفي، نيجيريا يقطنها شعب أيسرا وهي،
مسقط رأس الشاعر والحاكم
- ١٣- بَكَت: اسم حارة في مدينة إلورن، ولاية كوارا، نيجيريا.
- ١٤- القاضي يونس عبد الله: المرجع السابق، ص ١٢٥
- ١٥- آدم عبد الله الالوري: الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي، الطبعة الثانية،
دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧١م.
- ١٦- المرجع نفسه، ص ١٧٢
- ١٧- محمد القاسم علي: قصيدة قرضها بتاريخ - ٢٢-١٥-١٩٩٩م
- ١٨- عبد الرحمن عبد العزيز الزكوى، قصيده نظمها بتاريخ: ١٠/٨/١٩٨٧م.
- ١٩- عبد الرحمن عبد العزيز الزكوى: قصيدة مخطوطة نظمها بتاريخ:
١٩٩٨/٧/٧م.
- ٢٠- ...
- ٢١- ...
- ٢٢- ...
- ٢٣- ...
- ٢٤- ...
- ٢٥- ...
- ٢٦- ...
- ٢٧- ...
- ٢٨- ...
- ٢٩- ...
- ٣٠- ...
- ٣١- ...
- ٣٢- ...
- ٣٣- ...
- ٣٤- ...
- ٣٥- ...
- ٣٦- ...
- ٣٧- ...
- ٣٨- ...
- ٣٩- ...
- ٤٠- ...
- ٤١- ...
- ٤٢- ...
- ٤٣- ...
- ٤٤- ...
- ٤٥- ...
- ٤٦- ...
- ٤٧- ...
- ٤٨- ...
- ٤٩- ...
- ٥٠- ...
- ٥١- ...
- ٥٢- ...
- ٥٣- ...
- ٥٤- ...
- ٥٥- ...
- ٥٦- ...
- ٥٧- ...
- ٥٨- ...
- ٥٩- ...
- ٦٠- ...
- ٦١- ...
- ٦٢- ...
- ٦٣- ...
- ٦٤- ...
- ٦٥- ...
- ٦٦- ...
- ٦٧- ...
- ٦٨- ...
- ٦٩- ...
- ٧٠- ...
- ٧١- ...
- ٧٢- ...
- ٧٣- ...
- ٧٤- ...
- ٧٥- ...
- ٧٦- ...
- ٧٧- ...
- ٧٨- ...
- ٧٩- ...
- ٨٠- ...
- ٨١- ...
- ٨٢- ...
- ٨٣- ...
- ٨٤- ...
- ٨٥- ...
- ٨٦- ...
- ٨٧- ...
- ٨٨- ...
- ٨٩- ...
- ٩٠- ...
- ٩١- ...
- ٩٢- ...
- ٩٣- ...
- ٩٤- ...
- ٩٥- ...
- ٩٦- ...
- ٩٧- ...
- ٩٨- ...
- ٩٩- ...
- ١٠٠- ...



ISSN: 1597-8893

ANYIGBA JOURNAL OF ARABIC AND ISLAMIC STUDIES

A PUBLICATION OF THE
DEPARTMENT OF ARABIC
AND ISLAMIC STUDIES

KOGI STATE UNIVERSITY

Vol. 4, No. 1 - 2009/1430AH

المجلد الرابع، العدد الأول، ٢٠٠٩/١٤٣٠ هـ